تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية

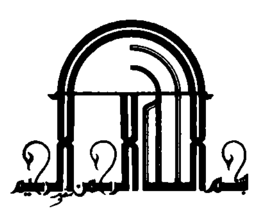
تأليف

الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

دار مكتبة الورّاق للنشر والتوزيع

تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية
والاختلاط المستهتر

تأليف
د. محمد بن لطفي الصباغ


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ
الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ
الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ
الطبعة الرابعة عام ١٤٠٨هـ
الطبعة الخامسة عام ١٤٠٩هـ
الطبعة السادسة عام ١٤١٠هـ
الطبعة السابعة عام ١٤١٠هـ

الطبعة الثامنة عام ١٤١١هـ

رمضان ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لسماحة العلّامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة الموجزة القيمة التي ألفها أخونا فضيلة الشيخ محمد لطفي الصباغ، وسمعتها كلَّها، فألفيتها جيدة ومفيدة في بابها، إذ اشتملت على بيان تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، واختلاطها بالرجال الأجانب، مستنداً في ذلك إلى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، كما أوضح للقارىء مساوىء الخلوة والاختلاط من خلال الحوادث التي وقعت بسببهما، ونتج عنهما ما لا تحمد عقباه، مما يجر على الأمة البلاء العظيم، والخطر الجسيم، فجزاه الله خير الجزاء، وزاده من العلم والهدى، ونفع بكتابه هذا، وجعلنا وإياه وسائر إخواننا المسلمين من الهداة المهتدين الداعين إلى الله

على بصيرة، إنَّه سميع قريب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ هذه الرسالة هي في الأصل كلمة ألقيتها من إذاعة الرياض،فاستمع إليها الناس، وأبلغني كثير منهم عن سرورهم منها، ورغبتهم في أن توسع وتنشر، ولكنني لم أجد الوقت لتنفيذ هذه الرغبة، حتى عمدت كلية الهندسة في جامعة الرياض إلى طبعها في رسالة ضمن نشرات لجنة النشاط الثقافي، ووزعتها على الناس، جزى الله الإخوة الأكارم في هذه الكلية الذين قاموا بذلك أحسن الجزاء، وتداولتها الأيدي، وبلغني أن بعض الأفاضل طبعوها على الآلة الكاتبة

ووزعـوهـا، ثم طُبعت في شركـة الـطباعة العربية السعودية، جزى الله القائمين عليها كل خير.

وقد نظرتُ فيها خلال رحلة لم تكن معي المراجع الكـافيـة، فزدت فيها بعض الزيادات، وكتبت لها هذه المقـدمـة، وإنَّ لهذا المـوضوع أهمية كبرى، لأن وضـع المـرأة يدل على طبيعـة الأمـة، فمـظهـرهـا ومعاملتها يبرزان هوية المجتمع، ويقرران مستقبل الأمة.

وإنَّ الكيد الذي يُكاد للمسلمين، كان قسمٌ كبيرٌ منه موكولاً إلى المرأة، لإفسادها وإخراجها إلى ميدان الفتنة والابتذال.. ولقد كانت المرأة هي الخاسرة في هذه المؤامـرة القـذرة، وبخسـارتهـا العـظمى فقد المجتمع توازنه وسعادته وأمنه وراحته.

وإنني من أجـل هذا أقدم هذه الرسالة نصيحة والدٍ إلى بناته وفتياته، أُحذرهنَّ من الخطر الماحق، والمهـانـة الضخمـة، والضيـاع في الدنيا والآخرة، والسقوط في نظر الناس جميعاً: فاسقين وصالحين.

أُقدِّمُها وأنا في سنّ الخمسين، ولا همَّ لي إلاّ أن

أجنب أُمتي المزيد من الأخطار، ممّا رأيت وسمعت خلال تجربتي الطويلة.

إنَّ هناك تآمراً رهيباً ضد المرأة المسلمة، يقوم به ناس لا يخافون الله، ولا يخشون العار ولا الفضيحة، لأنهم ليسوا متدينين ولا غُيرُاً، فليس لكثير منهم زوجات ولا بنات، ولا يتقون يوماً يسألون فيه عمّا يعملون، وإنْ كان لبعضهم زوجات وبنات، فليس عندهم من الغيرة شيء، حتى ولا التي توجد عند بعض الحيوان.

أما نحن فإنَّ ديننا هو الذي يحملنا على أن نُسدي النصحَ خالصاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا، وننذرهن من العاقبة الوخيمة، التي تنتظرهن إن هنّ فرّطن في حق دينهنّ.

إن الدعوة لخروج المرأة من البيت لتخالط الرجال جرّ المآسي والكوارث[1] وقد بدأ براقاً جذاباً لتكون

(١) وإليك هاتين الحادثتين اللتين نشرتها صحيفة الأخبار:

■ اتهم طالب في حقوق جامعة الزقازيق بمصر بمحاولة قتله زميلته لرفضها الاستجابة لحبه والابتعاد عنه، طعنها عدة طعنات بسكين حاد في داخل =

المـرأة زهـرة المجتمـع، وواسـطة العقد المكرمة.. ولكن انتهى بها الأمـر إلى المهـانـة لتكـون كانسـة للطرقات، وخادماً في الخمارات، وربما تعرضت في خروجهـا هذا إلى ما يهدد عفتهـا، ويقضي على مستقبلها، إنَّ المسؤولية تقع على الرجال والنساء من

= الكلية فأصابها إصابات خطيرة ونقلت إلى المستشفى وتم القاء القبض على الطالب.

جريدة *الأخبار* ١٧/ ١٢/ ١٩٧٩م

■ تقدم والد فتاة عمرها ١٨ سنة بإبلاغ النيابة العامة، يتهم طبيباً بإجهاض ابنتـه ووفـاتهـا بعد نقلها في حالة خطرة إلى القصر العيني. وأمام محكمة الجنايات برئاسة المستشار شاكر تركي وعضوية أحمد حمادة وأنور الجبالي، شهدت شقيقة المجني عليها وهي طالبة بالجامعة أن شقيقتها كانت تعمل عاملة سوتش بعيادة أحد الاطباء المشهورين، ووطّد علاقته معها منذ ٦ شهور وحملت برغم أنها بكر. وعندما أصبحت في الشهر الرابع توسلت إلى طبيب آخـر لإجهاضها، وليمنع عنها الفضيحة فأخذ منها ثمانية جنيهات وأجرى العملية.. ولكن الفتاة شعرت بالآم حادة، وعرضت حالتها على طبيب آخر، فحوّلها للقصر العيني، حيث أخرج من بطنها بقية أجزاء من الجنين.. وبعد ١٥ يوماً ماتت الفتاة. فحكمة المحكمة بحبس الطبيب سنة مع إيقاف التنفيذ لأنّ الطبيب حاول إجهاض الفتاة بدافع الإنسانية.

الأخبار ١٩/ ٤/ ١٩٧٨م

أقـول: أوردت القصـة لذكر أدلة واقعية على ما تتعرض له المرأة من أخطار في عملها تنال من كرامتها وعفتها بل وحياتها.

ولكن الخبر يحتمل جوانب أخرى للتعليق: ماذا صنعوا بالطبيب الزاني؟ وما حكم هذا الأب المجرم؟... و... و...

المؤمنين المتقين، ولا بُدَّ من أن تنطلق صيحات الخير في وجــوه الجـائـرين، ولكلمـة الحق سلطان وأي سلطان. اللهم أرنا الحقّ حقاً وارزقنا إتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، والحمد لله رب العالمين.

الرياض في : ربيع الأول ١٤٠٠هـ .

وكتبه : محمد بن لطفي الصباغ

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر

إنَّ الخلوة بالمرأة الأجنبية، والاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء، حرام في دين الله، وهما من عوامل الهدم لأخلاق أمتنا الاجتماعية والأسرية، ومدعاة غضب الله وعذابه.

فلنتق الله في بناتنا ونسائنا، ولنعلم أننا مسؤولون عنهن بين يدي الله الذي ائتمننا عليهن، قال الله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا قُوا أنفسكُم وأهليكم ناراً وَقُودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لا يَعْصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[١].

لقد حرَّم الإسلام ذلك تحريماً قاطعاً ـ بغض النظر عن المستوى الخلقي للرجل والمرأة ـ فالخلوة حرام ولو كانت بين أصلح الخلق وأتقاهم وبين أية امرأة

---

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

أجنبية، كما حرم الاختلاط المستهتر؛ رعاية منه لمصالح الناس الدنيوية والأخروية، لأنه بذلك يصونهم عن الوقوع في الحرام.

ومما شاع لدى نفر من الموسرين اليوم استخدام الرجال في البيوت، وقيامهم بشؤون البيت الداخلية، ومخالطتهم للنساء. يخرج الرجل من بيته إلى عمله.. أو إلى صديقه.. أو إلى شأن من شؤونه، وقد ترك زوجته مع الخادم الشاب الذي يتفجّر حيوية ونشاطاً وقوةً، وربما لا يكون معهما أحد من الناس، وهي لا تستتر منه، وقد رفعت الكلفة بينهما، فهي تأمره وتناديه وتنهاه، وهو بحكم عمله يستجيب، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، يحببه إليها ويحببها إليه حتى تقع الجريمة.

والمثيرات ـ في هذه الأيام ـ كثيرة جداً لا سيما بعد انتشار وسائل الإعلام على نطاق واسع[1] من إذاعة

(١) وقد زاد من انتشارها رخص ثمنها وخفة وزنها وصغر حجمها ووجودها في السيارات وعموم استعمالها، فإنك تسمع صوتها ليلاً ونهاراً، فإن نجا منها امرؤ في بيته، سمع في الطريق ومن بيوت الجيران الشيء الكثير.

وتلفـاز ومسجلات وفيديو وصحافة مصورة ومجلات مثيرة تتصل بالجنس. وقد يكون هذا الخادم وسيماً، وقد يكون الزوج مسناً أو قبيحاً أو ضعيفاً أو شرساً مخاصماً. . فماذا تكون النتيجة إنْ لم يكن خوف الله مسيطراً على الجانبين؟

وهذا القرآن الكريم يحدثنا عن تجربة تعرض لها سيدنـا يوسف عليه السـلام، عنـدمـا كان في بيت العزيز. . لقد تعرّض للفتنة المغرية: ﴿**وراودتْهُ التي هُوَ في بيتها عن نفسه وغلَّقتِ الأبواب وقالت هَيْتَ لكَ**﴾[1].

ولولا ان عصمه الله تبارك وتعالى، فأراه برهان ربه لكان الأمر الفظيع المستبشع.

وكذلك ما شاع لدى فئة من أتباع الغرب، ممن لا يخافون الله، ولا يرعون حرماته، من استقبال المرأة صديق زوجها في حال غيابه، والسماح له بالدخول إلى بيتها، والجلوس معه، ومؤانسته والتبسط معه في القول، وممازحته. . وما إلى ذلك.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٢٣.

إن هذه خلوة محظورة ممنوعة شرعاً، ولا يجوز التساهل بها بحجة الثقة بالصديق والزوجة، وليست تحمد عواقبها، ولا يمكن أن يرضى بها إلاّ إنسان مريض القلب، فاقد الغيرة، عديم المروءة.

ومثله وأشد منه أن تسافر المرأة وحدها، أو مع السائق أو الخادم، وكذلك أن تذهب المرأة إلى الطبيب وحدها[1]، وتتحقق خلوة محظورة، فيكشف بحكم مهنته عن مواضع في جسدها، ثم يبالغ في الاستفسار بالأسئلة التي تقود إلى الحرام.

وقريبٌ من ذلك ما يفعله بعض الناس من ترك زوجته أو ابنته مع السوَّاق، يذهب بها أنّى شاءت، ولا يدري أحد عن طبيعة الحديث الذي يدور بينهما في داخل السيارة إلاّ الله.

وكذلك فإن الجلسات العائلية ـ كما يدعونها ـ التي يختلط فيها الرجال بالنساء وهن في أتم زينة، وقد

(١) نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها ١٣٦ تاريخ ١١/١٢/١٩٧٨م: أن محكمة (هايغ) في هولندا طلبت من الطبيب (يوهان بردغ) دفع حوالي ٧٠٠ جنيه استرليني كغرامة بعد أن حاول اغتصاب إحدى مريضاته.

ألقين الحجاب وأظهرن المفاتن بحجة أنهم أصدقاء، وقد يكون في هذه الجلسات تبادل الحديث المبتذل، والمـزاح الهابط، والنكتة اللاذعة، والتعريض بأمور خاصة. إنّ كلّ ذلك مما لا يجيزه دين الله، وهو يعرض كيان الأسرة إلى الانهيار، ويبدل الود بين الزوجين إلى تنافر.

فلقد تقوضت علاقات التراحم والانسجام العائلي في عدد من الأسر، بسبب الاختلاط المستهتر. إذ من المحتمـل أن تستيقظ غيرة أحـد هؤلاء المختلطين، وذلك عندما يرى زوجته تمازح صديقه، فتثور ثائرته، ويتهمها بأنها كانت تنظر إليه بعين مملوءة بالإعجاب والعاطفة والميل. . ويتحول جو البيت من ودٍ وثقة إلى خصـام واتهـامـات، وقـد تنتهي الحياة المشتركة إلى الطلاق وتشتيت الأسرة، وإن لم تقع مثل هذه النتائجُ المـدمرة فلا بدّ أن يبقى أثر ذلك حساسية مفرطةٍ، وشكاً متزايداً، يحطم السعادة.

وأود أن أنقل كلاماً ذكره أستاذنا الشيخ مصطفى السبـاعي ـ رحمـه الله ـ، فقـد ساق أقـوالاً لبعض

الدارسين الأوروبيين، فيها عظة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال شيخنا الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ:

[فمن المعلوم تاريخياً أنّ من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة، ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط. ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين، فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة، فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح، ويوطدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المرأةُ وأصبحت ترتاد المنتديات، والمجالس العامة، وهي في أتم زينة، وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهياراً مريعاً].

ثم نقل عن دائرة معارف القرن التاسع عشر قولها:

[كانت النساء عند الرومانيين محباتٍ للعمل، مثل محبة الرجال له، وكن يشتغلن في بيوتهن، أما

الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب، وكـان أهمُّ أعـمال النسـاء بعد تدبير المنزل، الغَزْلَ وشغلَ الصوف].

[ثم دعـاهم بعـد ذلـك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والـطرب، فخـرجن كخروج الفؤاد من بين الأضـالـع، فتمكن الـرجـل لمحض حظ نفسه من إتـلاف أخـلاقهن، وتـدنيس طهـارتهن، وهتـك حياتهن، حتى صرن يحضرن المراقص، ويغنين في المنتـديات، وساد سلطانهن حتى صار لهنّ الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري].

ثم قالت دائرة المعارف:

[إنّا لسنا أول من لاحظ هذا الأثر السيء الذي يحدثه حبّ النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا، فإن أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الخطير.

فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدنيتنا الحالية ويهددنا بسقوطٍ سريع جداً وإن شئت فقل بانحطاط لا دواء له؟].

ومن الملاحظ أن عقلاء الأوروبيين بدؤوا يحذرون قومهم من المصير الذي انتهى إليه الرومان بنتيجة الإفراط في تبرج المرأة واختلاطها، فنجد العلامة (لويز برول) يقول في مجلة المجلات (المجلد ١١) تحت عنوان: الفساد السياسي، ما يأتي:

[إن فساد الأُسس السياسية وجد في كل زمان، ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي ذات عوامله في الزمن الحاضر، يعني أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة].

ثم أخذ هذا العالم يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ما كان في عهد جمهورية الرومان حتى قال:

[لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد

الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات الطبائع الخفيفة، اللائي كان عددهن بالغاً حدّ الكثرة، فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد، ترى الناس اندفعوا في تيار الحبّ البالغ حدّ الجنون وراء البذخ واللذات].

وقالت الكاتبة الانجليزية (اللادي كوك) في جريدة (الايكو):

[إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة]. ثم قالت:

[أما آن لنا أن نبحث عما يخفف - إن لم نقل يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الذي أغرق المرأة المجبولة على رقة القلب.

. . يا أيها الوالدان. لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهنَّ في المعامل ونحوها، ومصيرهن إلى ما ذكرنا، علموهنّ الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم، حيث يكثر اختلاط الرجال بالنساء، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت؟ وكثير من السيدات المعرضات للأخطار، ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن. لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان.. وهذا غاية الهبوط بالمدنية][1].

إن الإسلام لم يفرض الحجاب على المرأة إلا ليصونها عن الابتذال والتعرض للريبة والفحش،

(١) منقول عن كلمة للأستاذ السباعي ـ رحمه الله ـ في هذا الموضوع نشرتها جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) من صفحة ١٠ إلى صفحة ١٣.

وعن الوقوع في الجريمة، فكيف يجوز لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخالف أمر الله وترفع الحجاب أمام رجل أجنبي عنها بحجة أنه خادم.. أو سواق.. أو طبيب.. أو بائع.. أو خياط.. أو صديق الزوج.. أو أستاذ سواء كان في قاعة الدرس أو في درس خاص.. أو ما إلى ذلك؟؟.

وكيف يرضى امروء يتّقي الله ويخشاه بأن تَخْلُوَ زوجته أو ابنته مع رجل أجنبي عنها؟؟ إن الإسلام حظر الجريمة ومنع أسبابها المؤدية إليها، لأن من فرّط في الأسباب وقع في الجريمة، ومن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه.

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الحلال بَيّن، وإن الحرام بَيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع

فيه. ألا وإنّ لكــل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

وهناك نوعان من الاختلاط يتهاون فيهما كثير من الصالحين، ولابُدَّ من أن نشير ههنا إلى أنهما معولان يهدمان في كيان مجتمعنا الإسلامي.

أما أولهما : فهو الاختلاط في التعليم، وهو بعد أن اتسع نطاق التعليم ليس ضرورةً يَتَعينَّ اللجوء إليها لقلة الطلاب والاساتذة، كما كان يتذرع بها الذين بدؤوا هذه السنة السيئة، وإن من أضراره ما نلمسه في الواقع الذي نعيش فيه وتتسرب بعض أنبائه إلى الصحف. . إنــه إفســاد للخلق، وهبوط بالتعليم، وصرف للطاقات في غير مجال الدرس والتعليم.

واننا عندما نستطيع أن نمنعه في بلادنا الإسلامية كلهــا، وفي جميع مراحــل التعليم، نكون قد بدأنا

(١) رواه البخاري (الفتح ١/ ١٢٦) ومسلم ٥/ ٥٠ .

الخطوة المتقدمة حقاً، ولا يعني ذلك أن نمنع تعليم المرأة أبداً، إن التعلّم حق للمرأة كما هو حق للرجل، لكن في حدود الشرع المطهّر.

إن هذه الكلمـة المخلصة التي أطلقها وأرفع بها صوتي أرجو أن تأخذ طريقها إلى التنفيذ، يجب أن ينتهي عهد التقليد والتبعية والهدم إلى غير رجعة.

يجب أن يمنـع الاختلاط في التعليم طاعةً لأمر ربنا، ورعاية لأخلاق أبنائنا وبناتنا، وسعياً للمزيد من تحصيل العلم والمعرفة.

وأما ثانيهما : فهو الاختلاط في العمل، وهو أمر يقع فيه كثير من الطيبيين والطيبات، ولا ينتبه عددٌ منهم إلى أنه اختلاط غير مشروع، فلا ينكرون هذا المنكر حتى في قلوبهم، وإذا آلت إلى أحدهم سلطة يستطيع بها أن يمنع هذا الشر أو يكفكف من غلوائه فإنه لا يفعل شيئاً، لأنه لم يحسّ بأن مثل هذا الوضع غير مشروع. . ترى بعضهم يرسـل ابنته أو زوجته لتعمل في وسط مختلط، دون أن تكون هناك حاجة ملزمة ولا ضرورة مستحكمة.

نعم إن للمرأة الحق في أن تعمل، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن**﴾.[1].

ولكن عملها هذا مشروط بأن يكون ضمن حدود الشريعة،وذلك بألّا يكون فيه اختلاط مستهتر، ولا خلوة محرمة، وألّا يعرضها هذا العمل إلى الفتنة، وألّا تكون طبيعة عملها مخاطبة الرجال، وإلانة القول لهم حتى تتألفهم لصالح العمل الذي تقوم به، وأن تكون هي ملتزمة بالحجاب والحشمة.

هناك مجالات ممتازة لعمل المرأة، كالتعليم، والتوليد، والطب للنساء.. فكم هو جميل أن نجد طبيبات متخصصات في الأمراض كلها ولا تعالج الطبيبة إلّا النساء...

وعملها في مثل هذه المجالات لا يقدم لها المنفعة الخاصة فحسب، بل يقدم للأمة كلها النفع الكبير، إذن فالعمل للمرأة بعيداً عن الرجال أمر لا يمانع فيه

(١) سورة النساء، الآية ٣٢.

الشرع . . ولكن ينبغي أن يبقى في حدود الضرورة والمحافظة على تنفيذ أحكام الله .

إن عمل المرأة في خارج البيت يحدث اختلالاً في الحياة الزوجية دون شك، وإن الوضع الطبيعيّ للمرأة أن يكون عملها في البيت، وعمل البيت عبء غير يسير، وإنه ليحتاج إلى تفرغ تام، لا سيما إن كان هناك أطفال .

أما إن لم يكن هناك ضرورة فإن عملها ـ كما ذكرنا ـ ضارٌ مؤذٍ أشد الإيذاء، ذلك أن العمل يكون قد استنفد طاقتها، فتعود إلى البيت ضجرة، متوترة الأعصاب، لا تستطيع احتمال كلمة من زوجها ولا من أولادها[1]، وغالباً ما تكون العلاقات بين الزوجة

---

(١) نشرت جريدة الأخبار ما يأتي :
المرأة التي كانت تصرخ بأعلى صوتها للمطالبة بمساواتها بالرجل، أصبحت الآن تصرخ لحمايتها من مضايقة الرجال في العمل . . إن المرأة عندما دخلت مجال العمل وجدت نفسها وسط غابة من الرجال . . . وكما تقول (جلوريا تيانم) مديرة تحرير مجلة (ام إس) :
إن المرأة وجدت نفسها في هذا المجال معرضة للخطر . . وتذكر (جلوريا) أن هناك مئات الحالات التي ظهرت في أوروبا وأمريكا لنمو ظاهرة الخوف والتوتر لدى المرأة العاملة، لدرجة أن هذه الظاهرة أصبحت عامة بشكل مثير . . . وقد نشرت عشرات القصص التي تروي ببساطة مدى =

العـاملة وزوجها قائمة على أساس ماديّ بحت. .
وكثيراً ما تنشأ خلافات حادّة تبدد جو الود والحب، وإذا قدّمت المرأة من دخلها شيئاً من المساعدة فَقَدَ الرجلُ قوامته ومسؤوليته ولم تعد المرأة ـ بحكم غيابها عن المنزل ـ قادرة على رعاية البيت وتنشئة الأولاد.

وينبغي أن نُقنع بناتنا ـ لنحول بينهن وبين مخاطر الاختـلاط في العمل ـ بأنه ليس من الضروري أن يستتبع تعلّمُ المرأة أن تعمل خارج المنزل.

= التهديد الذي تقع فيه المرأة في غابة الرجال.

وتستطرد (جلوريا) قائلة: إن هذه الظاهرة قد نوقشت في مؤتمر عام عقد في نيـويورك، حيث روت عشرات النساء كيف تحطّمن في عملهن لأنهنّ رفضن تحقيق رغبات الرجال الذين كنّ يعملن معهم.

جريدة *الأخبار* ١١/ ١١/ ١٩٧٧م

ونشرت الأخبار في عددها بتاريخ ٢٠/ ٥/ ١٩٧٧م عن مراسلها جلال عيسى في جنيف ما يأتي: (أكد خبراء طب الصناعات أن العمل يضعف من أنـوثـة المرأة، وقالوا: لا يشترط أن يكون العمل شاقاً. . بل إن الأعمال المكتبية والذهنية وتحمل المسؤولية لها نفس التأثير. .) وقالوا: (إن مّا تعانيه المرأة العـاملة من متاعب نفسية في أثناء العمل ينعكس على حياة الأسرة وأكَّدُوا أن العمل يؤثر أيضاً على الرغبة الجنسية لدى المرأة). وفي الخبر أيضاً تفصيلات أخرى.

فلتتعلم بنـــاتنـــا ماشئن من العلوم، ليتـــوسـع إدراكهن، وتكـبر عقولهنّ، وليشاركن في بناء الجيل المسلم المجاهد الجديد. . وإنها لمهمة جليلة!!

ومثل الذين يتهاونون في الخلوة والاختلاط الآثم بدعـوى أنهم رُبُّـوا على الاستجابـة لنداء الفضيلة ورعـاية الخلق، مثـل قوم وضعـوا كمية من البارود بجانب نار متوقدة ثم ادّعوا أنَّ الانفجار لا يكون لأن على البـارود تحذيراً من الاشتعـال والاحتراق. . إنّ هذا خيالٌ بعيدٌ عن الواقع، ومغالطةٌ للنفس وطبيعة الحياة وأحداثها.

هذا وقـد بطلت الـدعوى التي يزعـم قائلوها أنَّ الاختـلاط يكسر الشهوة، ويهذب الغريزة، ويزيل هذا الجنـون الجنسي، ويخفف من الكبت، ويبعـد الفساد. وبطلانُ هذه الفِرْيَة قائمٌ متحققٌ بزيارة عابرة لأي بلد من بلاد أوروبا. . إن مثل هذه الزيارة تقنعُ من كان متردداً في تكذيب هذا الادعاء. . فلقد زاد الاختـلاط من توقـد الشهـوة وعـرامها. . وزاد من

الفساد. ومثله مثل الظمآن يشرب من ماء البحر فلا يزيده شربه إلا عطشاً على عطش.

وإليك مثالاً واحداً ـ وما أكثر الأمثلة ـ على أن حياة الغرب تردّتْ إلى الحضيض: فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط أن الطالب الامريكي (جو فوتس) والبالغ من العمر ١٩ عاماً قد أطلق النار على أستاذه (جيمس بونجي) داخل إحدى قاعات الدروس في مدرسة (سانتا مونيكا) في كاليفورنيا فأرداه قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر في وقت لاحق أنّ خلافاً قديماً كان قد نشب بين الطالب وأستاذه بسبب التنافس على حب إحدى الطالبات(١).

إن الاختلاط لا يحقق للمرأة أي احترام، لأن ما يبدو من الاهتمام بالمرأة في الجلسات المختلطة ليس في حقيقته إلّا احتقاراً للمرأة وزراية بها، لأنهم ينظرون إليها على أنها متعة، ولو كانت عجوزاً لما اهتموا بها أبداً. أما الإسلام فهو الذي يقدرها حق قدرها،

(١) انظر جريدة الشرق الأوسط العدد ١٤٧، تاريخ ٤/١٢/١٩٧٨م.

ويوجب احترامها أماً، ورعايتها بنتاً، وإكرامها زوجةً، والمحافظة عليها جارة وأختاً مسلمة.

فانتبهن يا بناتي العزيزات، يا بنات هذا الجيل، إن الرجل لا يحترم إلّا المرأة التي تحترم فضيلتها وعفتها وحجابها. . ولا يرى في المتبرجة المختلطة بالرجال إلّا ألعوبة يُطاف من حولها للتلهي بها والاستمتاع.

والشيء الغريب العجيب أن أولئك الذين أخذوا يستعيرون حياة الفرنجة لم يستطيعوا أن يتخلوا عن تصورات أمتهم وقيمها وأعرافها، على الرغم من محاولات المائعين المنحلين الكثيرة لزحزحة الأمة عن تقاليدها ومثلها، ولم يدرك هؤلاء المتفرنجون هذه الحقيقة إلّا بعد وقوع النكبة المحضة والتعاسة الدائمة.

إن الإسلام عالج هذا الموضوع بصورة جذرية:

١ ـ فقد جاء الأمر بغضّ البصر، قال تعالى: ﴿قُلْ للمؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبصارِهِمْ ويحفظُوا فروجَهُمْ ذلكَ أَزكى لهم إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعون﴾

وقـلْ للمؤمنـاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبصـارِهِنَّ ويحفظْنَ فُروجَهُنَّ ولا يُبدينَ زينتهنَّ إلّا ما ظهرَ منها وليضرِبْنَ بخُمُـرِهِنَّ على جيـوبهنَّ ولا يُبْـدينَ زينتَهُنَّ إلّا لِبعولتهنَّ أو آبائهنّ أو آباءِ بعولتهنَّ أو أبنائِهنَّ أو أبناءِ بعولتهنَّ أو إخوانهنَّ أو بني إخوانهنَّ أو بني أخواتهنَّ أو نسائهنَّ أو ما ملكتْ أيمانُهنَّ أو التابعينَ غيرِ أُولي الإربةِ من الرجالِ أو الطفلِ الذينَ لم يظهروا على عوراتِ النساءِ ولا يضربْنَ بأرجلهنَّ ليعُلمَ ما يُخفينَ من زينتهنَّ وتوبوا إلى اللهِ جميعاً أيها المؤمنونَ لعلكم تفلحون﴾[1].

وعدّ الشرع النظرة نوعاً من أنواع الزنا، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصـدق ذلـك الفـرج أو يكذب» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي[2].

(١) سورة النور، الآيتان ٣٠، ٣١.
(٢) البخاري (الفتح ٦/١١ و ٥٠٢)، ومسلم ٥٢/٨، وأبو داود ٢/ برقم ٢١٥٢.

وفي رواية لأبي داود: «واليدان تزنيان فزناهما البطش، والرجلان تزنيان فزناهما المشي، والفم يزني فزناه القبل»[1].

٢ ـ وجاء الأمر بتحريم الخلوة بالمرأة حتى ولو كان الرجل من أقارب الزوج.. فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلاَّ مع ذي محرم» رواه البخاري ومسلم[2]. وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار. أفرأيت الحمو؟ قال ﷺ: «الحمو الموت»[3]. رواه البخاري ومسلم[4]. والحمو هو قريب الزوج.

---

(١) ابو داود ٢/ برقم ٢١٥٣. هذا وإن في تسمية هذه المحرمات زناً، تبشيعاً لهذه المعاصي، وتنفيراً منها، وتخويفاً للناس من الوقوع فيها، لما استقر في نفوس المسلمين من استعظام جريمة الزنا، وكونها من السبع الموبقات. فهذه المعاصي مع أنها محرمة لذاتها، فهي كذلك محرمة لسدّ الطريق التي تؤدي إلى تلك الفاحشة المقيتة. وهذا ما عرف في الفقه الإسلامي بسد الذرائع.

(٢) البخاري (الفتح ٦/ ١٤٢)، ومسلم ٤/ ١٠٤.

(٣) قال أبو عبيدة في معناه: يعني فليمت ولا يفعلنَّ ذلك.

(٤) البخاري (الفتح ٩/ ٣٣٠)، ومسلم ٧/ ٧.

٣ ـ إنّ في تأديب الله لزوجات رسوله محمد ﷺ وتحديد علاقتهن بالرجال عظة بالغة ودرساً عظيماً. فلنقرأ الآيات التي تحدثت عن ذلك ففيها الكفاية لمن أراد الهداية.

قال تعالى: ﴿يا أيها النبيُّ قُلْ لأزواجكَ وبناتكَ ونساءِ المؤمنينَ يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذَلكَ أَدْنى أن يعرفن فلا يُؤْذَيْنَ وكان الله غفوراً رحيماً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا نساء النبيّ لَسْتُنَّ كأحدٍ من النساء إن اتَّقيتُنَّ فلا تخضعْنَ بالقول فيطمَعَ الذي في قلبه مرضٌ وقلْنَ قولاً معروفاً ● وقَرْنَ في بيوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهلية الأولى وأقمنَ الصلاة وآتينَ الزكاة وأطعْنَ الله ورسولَهُ إنّما يريُد الله ليذهبَ عنكمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركم تطهيراً ● واذكْرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إنّ الله كانَ لطيفاً خبيراً﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٩.

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٣٢ ـ ٣٤.

وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيّ إلّا أن يُؤْذَنَ لكم إلى طعامٍ غَيْرَ ناظرين إناه[٢] ولكنْ إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طَعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديثٍ إنّ ذلكم كان يُؤذي النبيَّ فيستحيي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سأَلتموهنَّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجابٍ ذلكم أطهر لقلوبكُمْ وقلوبهِنَّ وما كان لكم أن تُؤذوا رسولَ اللهِ ولاَ أن تنكحوا أزواجَهُ مِنْ بعده أبداً إنَّ ذلكم كان عندَ اللهِ عظيماً﴾[٣].

وزوجات رسول الله ﷺ هنّ أمهات المؤمنين، وهنّ موضع الاحترام والتكريم، وهنّ محرمات على المسلمين، وقد بلغن منزلة في الدين والتقوى ليس فوقها منزلة، وفي بيوتهنَ تُتلى آيات الله والحكمة، ويشهدن تنزلَ الوحي والتطبيق العمليَّ للإسلام في مصدريه الكتاب والسنة، والصحابة جيلٌ مثالي، سما

---

(٢) أي نضجه .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٣ .

إلى أعلى مستوى يمكن أن يبلغه جيل، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل، ورضي الله عنهم ورضوا عنه، قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان رضي اللهُ عنهم ورضُوا عنه وأعدَّ لهم جنّاتٍ تجري تحتَها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[1].

ومع ذلك فقد حَدَّدَ علاقة هؤلاء الزوجات بأولئك الرجال الأفاضل على نحو ما نطقت به الآيات الكريمة التي أوردناها: فلقد أُمرن بأن يُدنين عليهنّ من جلابيبهن، ويلزمن بيوتهنّ، ولا يتبرجن تبرج المرأة في الجاهلية، وبألا يخضعن في القول في مخاطبة الرجال، فيطمع الذي في قلبه مرض، بل يتكلَّمْنَ بمقدار الضرورة، وقد قَرَنَ تبارك وتعالى هذا بأمرهنَّ بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، ولقد كان ذلك كله ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ وأمر المسلمين ـ إذا أرادوا أن يسألوهنَّ متاعاً ـ أن يسألوهنّ من وراء حجاب،

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠ .

فيحـدثـونهن من خلف ستار بفصل بينهم وبينهنّ، ويقول تعالى: ﴿**ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ**﴾.

ولا يقولنّ قائل: إنّ هذا خاصٌ بزوجات النبي ﷺ دون سائـر المسلمات، إنّ هذا مطلوب من المسلمات جميعاً، كما هو مطلوب من أُمهات المؤمنين وذلك من وجهين:

الأول: أن رسول الله ﷺ قدوة للمسلمين، وسلوكـه مدرسة متبعة، يقول تبارك وتعالى: ﴿**لَقَدْ كانَ لكم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ لمنْ كانَ يرجو اللهَ واليومَ الآخر وذكرَ اللهَ كثيراً**﴾[1].

والثـاني: إذا كان مثل هذا الاحتياط في السلوك والمعاملة مطلوباً من أُمهات المؤمنين، وهنّ كما ذكرنا من الاستقـامـة والتقوى، ولهنّ ما قررنا من الحرمة وجلالة القدر عند جميع المؤمنين الصادقين، فالمسلمات الأخريات أحوج إلى الأخذ بهذا الاحتياط.

●●●

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

هذا وإني أرى ألا تخلو هذه الكلمة المتواضعة من التنبيه إلى رأي خاطىء يقع فيه كثير من الناس، بعضهم مخطىء عن اجتهاد، وأكثرهم مغرض دسَّاس، وذلك عندما يعمدون إلى الاستشهاد بحوادث أوردتها كتب السنة، فيريدون أن يعمموها ويسحبوها على ما يقع اليوم من اختلاط مستهتر هدام، فقد كتب بعضهم[1] مقالات في صحف ومجلات، وردّ عليهم آخرون في مقالات ورسائل، ولست أريد أن أدخل في تفصيلات الرد عليهم، ويكفيني هنا أن أنبِّه إلى القولة الباطلة، وأن أكشف عن القصد السيء عند اكثر القائلين بها، والله يقول الحق وهويهدي السبيل.

فلنتنبه يا عباد الله، ولندرأ عن أنفسنا الوباء والخطر قبل حلوله، ولنحذر مكر الشيطان. . فإنه شر مستطير على أنفسنا وأهلينا وأمتنا.

---

(١) من هؤلاء الأستاذ أحمد حسن الزيات، والشيخ أحمد حسن الباقوري وغيرهما.

ولنستجبْ لدعـوة الله نسعـد في الـدنيا والآخرة ﴿يـا أَيُّهـا الـذين آمنـوا استجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لِمَا يُحييكم واعلموا أنّ اللهَ يحولُ بينَ المرءِ وقلبه وأَنَّهُ إليهِ تُحْشَرونَ واتقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أنّ الله شديدُ العقاب﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

محمد بن لطفي الصباغ

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان ٢٤، ٢٥ .

فسح وزارة الإعلام رقم ٥٥٢٢/ م وتاريخ ٢٣/٨/ ١٤١١هـ

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض